



**African Journal of Advanced Studies in
Humanities and Social Sciences (AJASHSS)**
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

Online-ISSN: 2957-5907

Volume 3, Issue 1, January - March 2024, Page No: 158-166

Website: <https://aasjournals.com/index.php/ajashss/index>

معامل التأثير العربي 2023: 1.25

SJIFactor 2023: 5.58

ISI 2022-2023: 0.510

**المدرسة الأندلسية
مؤلفاتها
الأمهات والاستدلال**

عبد الرحمن الطيب محمد الطيب *

أستاذ الفقه الإسلامي، قسم الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الأسمرية الإسلامية،
زليتن، ليبيا

**Andalusian School
Her Compositions
Mothers And Reasoning**

Abdulrahman Altayib Darah *

Department of Sharia and Law, Faculty of Sharia and Law, Al-Asmarya Islamic University,
Zliten, Libya

*Corresponding author

asxfghjkl20263@gmail.com

*المؤلف المراسل

تاريخ النشر: 2024-01-30

تاريخ القبول: 2024-01-15

تاريخ الاستلام: 2023-11-26

المخلص

انتشر المذهب المالكي شرقاً وغرباً على يد تلاميذ الإمام مالك سواء أكانوا تلاميذه المتقدمين أم الذين درسوا عليه في آخر حياته، فكُونوا مدارس مختلفة كل مدرسة لها خصوصية تختلف عن غيرها، ومن بين أهم هذه المدارس المدرسة المغربية، والتي تشمل ما وراء مصر حتى بلاد الأندلس، ولكن اختلف كتاب المذهب في استقلالية المدرسة الأندلسية عن المدرسة المغربية، فمنهم من يجعل الأندلسية جزءاً من المغربية، ومنهم من يجعل الأندلسية مستقلة، لهذا جاءت فكرة هذا البحث وكان الغرض منها بيان قيمة المدرسة الأندلسية، وهل فيها من الإمكانيات ما يجعلها مدرسة مستقلة أم لا، وذلك من حيث قيمة المؤلفات العلمية التي احتوتها هذه المدرسة. يمكن القول أيضاً أنّ أهمية الكتابة في هذا الموضوع تبرز في أمور منها التعرف على الشخصية المالكية الأندلسية إجمالاً، وأهم كتبها وأعلامها ومسائلها.

الكلمات المفتاحية: المدرسة الأندلسية، المذهب المالكي، أمهات المذهب، الاستدلال.

Abstract

The Maliki doctrine spread east and west at the hands of Imam Malik's students, whether they were his early students or those who studied under him at the end of his life. They formed different schools, each school having a specificity that differed from the others. Among the most important of these schools was the Moroccan school, which includes beyond Egypt to Andalusia. But the writers of the school of thought differed in the independence of the Andalusian school from the Moroccan school. Some of them make Andalusian school part of Moroccan school, and some of them make Andalusian school independent. This is why the idea of this research came and its purpose was to explain the value of the Andalusian school,

and whether it has the capabilities that would make it an independent school. This is in terms of the value of the scientific literature contained in this school. It can also be said that the importance of writing on this topic is highlighted in matters including identifying the Andalusian Maliki personality in general, and its most important books, figures, and issues.

Keywords: Andalusian school, Maliki school of thought, mothers of the school of thought, reasoning.

مقدمة

الحمد لله حافظ الدين، رافع مكانة أهل العلم العاملين، فجعلهم ورتنا للأنبياء والمرسلين، والصلاة والسلام التامين على أفضل الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

انتشر المذهب المالكي شرقاً وغرباً على يد تلاميذ الإمام مالك سواء أكانوا تلاميذه المتقدمين أم الذين درسوا عليه في آخر حياته.

فكُونوا مدارس مختلفة كل مدرسة لها خصوصية تختلف عن غيرها، ومن بين أهم هذه المدارس المدرسة المغربية، والتي تشمل ما وراء مصر حتى بلاد الأندلس، ولكن اختلف كتاب المذهب في استقلالية المدرسة الأندلسية عن المدرسة المغربية، فمنهم من يجعل الأندلسية جزءاً من المغربية، ومنهم من يجعل الأندلسية مستقلة، لهذا جاءت فكرة البحث: وهي تبين قيمة المدرسة الأندلسية، وهل فيها من الإمكانيات ما يجعلها مدرسة مستقلة أم لا؟ وذلك من حيث: قيمة المؤلفات العلمية التي احتوتها هذه المدرسة، فجاء هذا البحث بعنوان: المدرسة الأندلسية مؤلفاتها: الأمهات-الاستدلال.

اشكاليات البحث:

يمكن حصر اشكالات هذا البحث في مجموعة من التساؤلات يتم الإجابة عنها من خلال مجموعة من المباحث، وهذه التساؤلات:

- هل المذهب المالكي كانت له قاعدة صلبة في الأندلس أم له منازع آخر؟
- هل المدرسة الأندلسية ترتقي لأن تكون مدرسة مستقلة عن غيرها؟
- هل لهذه المدرسة مؤلفات وكتب ذات قيمة علمية وذات طابع خاص؟
- هل المدرسة تحتوي على كتب من أمهات المذهب؟
- هل اعتنت هذه المدرسة بالتأصيل والاستدلال على فروع المذهب؟
- بهذه التساؤلات تتضح أهل الاشكالات التي يحاول هذا البحث معالجتها واستحضار الإجابات الشافية لها.

ويمكن القول أنّ أهمية الكتابة في هذا الموضوع تبرز في أمور منها: التعرف على الشخصية المالكية الأندلسية إجمالاً، وأهم كتبها وأعلامها ومسائلها خصوصاً. وسيقسم هذا البحث إلى الآتي:

• تمهيد.

- **المبحث الأول:** التعريف بأمهات المذهب الأندلسية "الواضحة-المستخرجة".

المطلب الأول: التعريف بالواضحة.

المطلب الثاني: التعريف بالمستخرجة.

- **المبحث الثاني:** التعريف بكتب الاستدلال الأندلسية "المقدمات-بداية المجتهد".

المطلب الأول: التعريف بالمقدمات الممهدة.

المطلب الثاني: التعريف ببداية المجتهد.

تمهيد

نبذة مختصرة على المدرسة الأندلسية

ويقصد بها علماء المالكية الذين استقروا في الأندلس، وبنوا مذهب الإمام مالك هناك، وقد اختلفت مسالك العلماء في الكلام على مالكية الأندلس حيث جعل البعض الكلام عليها تبعا للمدرسة المغربية، التي تضم كل من أفريقيا والمغرب الأقصى والأندلس، ومنهم من يصنفها بالمدرسة الخامسة ويجعلها ذات استقلالية عن باقي المدارس.

- وكانت الأندلس قبل دخول المذهب المالكي على مذهب الأوزاعي، وكان أكبر فقهاء هذا المذهب وأهم منظريه كما يذكر القاضي عياض، **صعصعة بن سلام**.¹
- واختلف أيضا في بداية دخول المذهب للأندلس فقيل: أنه دخل في عصر عبد الرحمن الداخل أول خلفاء الدولة الأموية في الأندلس، وقيل: أن أول دخول كان في عصر عبد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ثالث خلفاء الدولة الأموية هناك.²
- وذهب صاحب كتاب المدرسة الأندلسية إلى أن من أدخل المذهب وعرف به الغازي بن قيس المتوفي سنة 199 هـ، وابن شبوط أول من أدخل الموطأ المتوفي سنة 194 هـ، ويحي بن يحي الليثي المتوفي سنة 234 هـ، ادخل الموطأ كاملا منتهيا بالسماع لأنه آخر من أخذ عن الإمام.³
- **أهم أسباب انتشار المذهب:**
ويمكن إرجاع أهم أسباب انتشار المذهب المالكي إلى عدة عوامل من أهمها: 1- شخصية الإمام مالك ومكانته العلمية.
2- اهتمام الإمام مالك بطلبة العلم الأجانب واهتمامه خاصة بطلبته الأندلسيين.
3- مساندة السلطة لمذهب الإمام مالك من عصر عبد الرحمن الداخل؛ لأن الامام مالك لم يرض بحكم العباسيين في بداية أمره.
4- استلام علماء المالكية لكثير من السلطات في الدولة.
5- نصح مشايخ المالكية طلابهم بنشر المذهب، وترك الأماكن التي لا تكون صالحة لذلك، كما فعل ذلك ابن القاسم مع تلميذه عيسى بن دينار.⁴

- توزيع بعض العلماء على المدن:

- 1- قرطبة: وفيها زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبوتون⁵، عبد الرحمن بن دينار ت 201 هـ، يحي بن يحي الليثي، ومحمد العتبي ت 254 هـ، وابن رشد 520 هـ.
- 2- اشبيلية: وفيها: يحي بن معمر الألهاني ت 226 هـ، وعمر بن عمرو ت 290 هـ.
- 3- البيرة: وفيها: عبد الملك بن حبيب توفي 238 هـ، صاحب كتاب الواحة.
- 4- طليطلة: وفيها: سعيد بن عبدوس 180 هـ لقي مالك، عيسى بن دينار ت 212 هـ، لقي ابن القاسم، شبوتون بن عبد الله الأنصاري ت 212 هـ سمع الموطأ من مالك.
- 5- بطليوس: وفيها: أبو على حسين بن شرحبيل، توفي قرب الثلاثمائة، أبو الوليد سليمان الباجي ت 444 هـ صاحب المنتقى.⁶

1- ينظر: ترتيب المدارك تقريب المسالك، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، مطبعة فضالة، المغرب، ط/1. 27/1.

2- ينظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، لعمر الجيدي، ط/1993، م ص 17.

3- المدرسة المالكية الأندلسية، إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، لمصطفى الهروس، وزارة الأوقاف المغربية، 1418 هـ-1997 م ص 36.

4- ينظر: مباحث في المذهب 35، المدرسة المالكية الأندلسية ص 62.

5- ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى. 104/2.

6- ينظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط/15، 2002 م. 125/3، المدرسة المالكية الأندلسية ص 105-164.

المبحث الأول
التعريف بأمهات المذهب الأندلسية "الواضحة-المستخرجة".
المطلب الأول
التعريف بكتاب الواضحة.
أولاً: مؤلفها:

أبي مروان عبد الملك بن حبيب بن ربيع بن سليمان بن هارون بن جناهمة ابن عباس بن مرداس السلمي. ولد بقرطبة، سمع من شبطون، ورحل فسمع من ابن الماجشون، ومطرف، وعبد الله بن عبد الحكم، وأصيح. له تأليف كثير في جميع المجالات فقد سؤل عن مؤلفاته فقال: ألف كتاب وخمسة كتاب، من أشهرها الواضحة، وقال عياض: إنما ألف كتابا واحداً في أحد عشر مجلداً لا مجموعة مؤلفات، توفي سنة 238هـ⁷.

ثانياً: اسمها:

اختلف المؤرخون في تحديد اسمها، فذهب صاحب كشف الظنون: بجعلها الواضحة في إعراب القرآن⁸، وجعلها صاحب معجم المؤلفين باسم الواضحة في السنن والفقهاء وإعراب القرآن⁹، ووضعت أيضاً تحت: واضح السنن، وذكرها العتبي بالواضحة في السنن والفقهاء، ومحل الاتفاق في كل هذه الاسماء الواضحة¹⁰.

ثالثاً: نسبتها إليه:

قد تبثت نسبتها إليه بلا خلاف لكثرة تدريسه لها، وهو ما نقله أصحاب التراجم قال عياض: " قال العتبي: وذكر الواضحة: رحم الله تعالى عبد الملك ما أعلم أحداً ألف على مذهب مالك تأليفه، ولا لطالب أنفع من كتبه ولا أحسن من اختياره"¹¹.

رابعاً: مكانتها:

كان هو كتاب الأندلس الأول في فقه المالكية لا يدرس إلا هو، وروي أنه كان لا يدرس إلا هذا الكتاب في مجلسه أو كتاب الموطأ، حتى جاء العتبي من تلاميذه وألف المستخرجة¹².

خامساً: حالها اليوم:

قد خسر المذهب المالكي مصدراً من أهم مصادره، والتي تعتبر من أمهات المذهب المالكي فقد ضاعت مع ضياع بلاد الأندلس من المسلمين، ولم يبق منه سوى لوحات معدودة لا تتجاوز الأربعة والعشرين لوحة مخطوطة في خزانة القرويين، وقطعة أخرى بالمكتبة الأثرية بالقيروان، ومع هذا كله فلا زالت آراء الواضحة وبعض نصوصها تتناولها المصادر المالكية، حيث تنتشر نصوصها بداخل هذه المؤلفات¹³.

سادساً: اهتمام العلماء بها:

قد اهتم الفقهاء وخاصة أهل الأندلس بها تهذيباً وشرحاً واختصاراً ومن أهم المؤلفات حولها:

- اختصار فضل بن سلمة الجهني لها¹⁴.
- واختصرها البرادعي صاحب التهذيب¹⁵.

سابعاً: وصفها:

قد احتوت الواضحة على علوم كثيرة كما أنها احتوت على آراء ابن حبيب التي اختص بها وخالف بها غيره من المالكية.

⁷- ينظر: الأعلام 157/4، المدرسة المالكية الأندلسية 376.

⁸- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى حاجي خليفة، مكتبة المثنى، 1941هـ. 1996/2.

⁹- معجم المؤلفين 181/6.

¹⁰- المدرسة المالكية الأندلسية 381.

¹¹- ترتيب المدارك 126/4.

¹²- ينظر: اصطلاح المذهب عند المالكية، لأحمد إبراهيم، دار البحوث للدراسات الإسلامية، ط1، 2000م. ص 148.

¹³- ينظر: تاريخ المدرسة الأندلسية 381.

¹⁴- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، تعليق/ عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003. 123/1.

¹⁵- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم ابن فرحون، تح/محمد الأحمد، دار التراث، القاهرة، 350/1.

ومن المسائل التي انفرد بها: أن ترتيب كفارة الصيام غير واجبة عند مالك ولكن استحباب تقديم الإطعام، وذهب ابن حبيب أن المستحب في الترتيب العتق ثم الإطعام ثم الصيام¹⁶.

المطلب الثاني التعريف بكتاب المستخرجة

أولاً: مؤلفها:

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن جميل بن عتبة بن أبي سفيان، وقيل: هو مولى لأبي عتبة بن أبي سفيان وهو ما صححه صاحب الديباج، سكن قرطبة، وسمع من سحنون وأصبع، وروى عنه ابن لبابة، والأعناق. وكان ذو مكانة فقهية، قال فيه ابن لبابة: لم يكن هنا أحد يتكلم مع العتبي في الفقه، جمع المستخرجة، توفي سنة 255هـ¹⁷.

ثانياً: اسمها:

قد كانت تسمى بالمستخرجة من السماعات، كما اشتهرت أيضاً باسم العتبية نسبة إلى مؤلفها، وهي اليوم تسمى بالمستخرجة فقط¹⁸.

ثالثاً: نسبتها:

قد نقل كثير من العلماء نسبة المستخرجة إلى العتبي، وأنه هو من ألفها، وهو ما روي عن تلاميذه كابن لبابة، ولكن بعض أهل التراجم قد نسبوا إلى أحمد بن مروان المعروف بالرّصاع، المتوفي سنة 286هـ، وهو من أحد معاصري العتبي، قال ابن أبي دليم: أنه أعان العتبي على تأليفها، وقال ابن فرحون: هو من روى المستخرجة للعتبي، لكن ما رجح عند النقاد أن المؤلف هو العتبي، وإنما الثابت إعانة الرّصاع له، وخاصة أن الرّصاع كان أكثر الرواية للحديث والسماع¹⁹.

رابعاً: منهجها:

وقد كان العتبي يجمع السماعات تحت أبواب ثم يرتب هذه السماعات فيقدم سماع ابن القاسم، ثم سماع سحنون، ثم موسى بن معاوية، ثم محمد بن خالد ثم ابن الحسين، ثم محمد بن أصبع، ثم أبي زيد²⁰.

خامساً: نقد الموجه لها:

قد وجه مجموعة من العلماء النقد لهذا الكتاب فقد وصف العتبي بأنه متساهل بالرواية فيها، فقد جمع فيها من غير تمييز، فجعل فيها الصحيح والضعيف، فكثرة فيها المسائل الشاذة والغريبة، قال ابن وضاح: أن المستخرجة فيها أخطاء كثيرة، بل اتهمه البعض بالكذب فيها. ويمكن القول بأن تلميذه ابن الفارض وإن نُقل عنه بعض النقد عليها إلا أنه قد رد على أحمد بن خالد بعد أن عاتبه على قراءتها على الناس وهي ما فيها قائلًا: إنما أقرئها لمن أعرف أنه يعرف خطأها من صوابها²¹.

سادساً: مكانتها:

رغم الانتقادات التي وجه للمستخرجة إلا أن العلماء تلقوها بالقبول وجعلوها أيضاً من أمهات المذهب، وبرز الاعتناء بها حفظاً وتديراً وتهذيباً واختصاراً، وكما دعى العلماء لحفظها، فعن ابن أبي زيد قال: من حفظ المدونة والمستخرجة لم تبق عليه مسألة. بل جعل ابن رشد أن من لم يتفقه فيها ويحفظها ليس من أهل العلم ولا يشار إليه بالفقه²².

16- ينظر: المدرسة المالكية الأندلسية 388.

17- ينظر: ترتيب المدارك 252/4، شجرة النور 112/1.

18- ينظر: شجرة النور 212، اصطلاح المذهب 152، دراسات في مصادر الفقه المالكي، لمايموش موراني، ترجمة سعيد بحيري وآخرون، دار

الغرب الإسلامي، ط1، 1988م، ص110

19- ينظر: ترتيب المدارك 110/4، الديباج 152/1.

20- ينظر: المدرسة المالكية الأندلسية 402.

21- ينظر: الديباج 177/2.

22- ينظر: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لمحمد بن أحمد بن رشد، تح/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 1988م 29/1.

سابعاً: أهم المؤلفات حولها:

- وكما قلنا قد كثرت المؤلفات حول العتبية من حيث الشرح والتهديب والاختصار، ومن أهمها:
 - اعتناء محمد أبي الوليد الأعرج بها فيوبها تبويب المدونة²³.
 - وهذبها أيضا ابن أبي زيد القيرواني في كتابه تهذيب العتبية²⁴.
 - كما اختصرها يحي الكناني في كتابه: المنتخب²⁵.
 - ومن أهم المؤلفات عليها شرح ابن رشد، في كتابه المشهور: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة²⁶.

المبحث الثاني

التعريف بكتب الاستدلال الاندلسية "المقدمات-بداية المجتهد".

المطلب الأول

التعريف بالمقدمات الممهديات.

أولاً: مؤلفه:

محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ولد سنة 455هـ، سمع من ابن رزق، والجياي، وابن فرج، وأخذ عنه ابنه أحمد والقاضي عياض، وأبي بكر الإشبيلي. وألف مجموعة من المؤلفات منها: البيان والتحصيل، اختصار المبسوط، وحجب المواريث، ونوازل ابن رشد المعروفة بفتوى ابن رشد، والمقدمات وهو كتابنا هذا. توفي سنة 520هـ²⁷.

ثانياً: اسمها:

يذكر أصحاب التراجم اسم هذا الكتاب: بالمقدمات في أوائل كتب المدونة²⁸، وما صرح به ابن رشد في بداية كتابه هذا هو الفصيل في تحديد اسم هذا الكتاب فهو قريب من هذا الاسم المذكور حيث قال: "سميته بكتاب المقدمات الممهديات لبناء ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات"²⁹.

ثالثاً: نسبتها:

لم أقف مطلقاً على خلاف في نسبة كتاب المقدمات الممهديات، لمحمد بن رشد القرطبي بل كتب التراجم التي وقفت عليها تنسبها له³⁰، إلا ما أورده يوسف إيلان في معجم المطبوعات ومحمد فريد في دائرة معارفه أنه لابن رشد الحفيد وهو غير صحيح، ولعل ما يثبت أنها لابن رشد الجد ما ذكر في بداية كتابه المقدمات: "قال الفقيه محمد بن أحمد بن رشد: أما بعد"³¹. كما قال أيضا في مقدمتها: جريا على سنن شيخنا ابن رزق وطريقته في ذلك.... ثم قال: فسألته -رحمه الله- عما كان يستفتح به شيخه بن القطان"³²، فهذا واضح الدلالة على أن الكاتب هو ابن رشد الجد.

رابعاً: الغرض من تأليفها:

ويظهر واضحا سبب تأليف المقدمات هو إجابة للسائلين، الذين طلبوا منه جمع بعض ما كان يلقيه عند استفتاح شرحه على أبواب المدونة من تأصيل وتقييد وخلاف، حيث قال في أول هذا الكتاب: "فإن بعض أصحابنا المجتمعين إلى المناظرة والمذاكرة في مسائل المدونة سألني أن أجمع له ما أمكن مما كنت أورده عليهم عند استفتاح كتبها وفي أثناء بعضها مما يحسن المدخل به إلى الكتاب وإلى ما استفتحت عليه من

²³- ينظر: تاريخ العلماء بالاندلس، لعبد الله الأزدي، تح/ عزت الحسيني، مطبعة المدني، القاهرة، 1988م 1/261.

²⁴- ينظر: شجرة النور 1/144.

²⁵- ينظر: الديباج 23/355.

²⁶- ينظر: شجرة النور 1/190، اصطلاح المذهب 318.

²⁷- ينظر: الديباج المذهب 2/248.

²⁸- ينظر: شجرة النور الزكية 1/190.

²⁹- "المقدمات الممهديات لبناء ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات"، لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي، ضبط/ محمد مفتاح، شركة القدس، ط/1، 2012هـ القاهرة. 15/1.

³⁰- ينظر: تاريخ قضاة الأندلس، لأبي الحسن عبد الله المالقي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ط/5. ص99.

³¹- المقدمات 1/14.

³²- المرجع نفسه 1/14.

الفصول، وتعظم الفائدة ببسطه وتقديمه وتمهيده من معنى اسمه واشتقاق لفظه وتبيين أصله من الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل العلم من ذلك واختلفوا فيه بوجه بناء مسائله عليه وردها إليه وربطها التحصيل لمعانيها و بالتقسيم لها"³³.
خامساً: مكانته العلمية:

ليست المقدمات من كتب فروع الفقه العادية وإنما هو من بدع التأليف يحتوي على تأملات فقيه مالكي ضليح، وصل درجت الاجتهاد، ينافح عن مذهبه المالكي عند الاقتضاء بالبرهان و الحجة ، فهو نظرة جديد للمذهب المالكي عموماً وكتاب المدونة خصوصاً³⁴، كما صرح الشيخ في بداية مقدماته بقوله: "فاجتمع تأليف مفيد لم يسبق أحد ممن تقدم إلى مثله"³⁵.

سادساً: منهجها:

يعتبر كتاب المقدمات من كتب المالكية التي اختصت بالخلاف العالي مع اعتماد أقوال المالكية كأصل فهو كتاب فقه مرتب على أبواب المدونة غير أنه زاد على ذلك الاستدلال على آراء المالكية، وذكر آراء المخالفين ومناقشتها، والرّد على أدلتهم. قال صاحب كتاب ابن رشد وكتابه المقدمات: "تحقق المدونة أجل تحقيق إذ تظهر المذهب وعقيدة مؤسسه وأصحابه من بعده، وتبين منشأه وأصوله الواضحة وفروعه الدقيقة، وتعرض موقف ابن رشد منها موافقة واعتراضاً، إذ تدقق معانيها وتضبط تأويلاتها، وتحل مشكلاتها، وتغربل آراء المالكية في فهمهم لها، كل ذلك بحذق وأمانة"³⁶.

سابعاً: اهتمام العلماء بها:

تلقي المالكية هذا الكتب بالقبول، فاستلموه بالحفظ، والتدريس والاختصار ومن أهم من اختصره: محمد بن سعيد الرعيني المتوفي سنة 779هـ.³⁷

المطلب الثاني

التعريف ببداية المجتهد

أولاً: مؤلفها:

أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، المعروف بالحفيد، ولد سنة 520هـ، وتوفي سنة 595هـ، أخذ الفقه من أبيه أحمد ابن رشد، وابن شكوال، وابن مسرة، وأجازته الإمام المازري، له مؤلفات متنوعة منها: اختصار المستصفي، وكتاب في أصول الفقه، وكتاب بداية المجتهد وهو كتابنا هذا.³⁸

³³- المرجع نفسه 14/1.

³⁴- ينظر: ابن رشد وكتابه المقدمات، لمختار التليي، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، 1988. ص 563.

³⁵- المقدمات 15/1.

³⁶- ينظر: ابن رشد وكتابه المقدمات 563، وأذكر مثالا لذلك: " فصل في القدر الذي تقع الحرمة به من الرضاع ومذهب الإمام مالك وكل أصحابه، وهو قول جمهور أهل العلم، أن قليل الرضاع يحرم ككثيره؛ لأنه ظاهر القرآن، وحديث المصة والمصتان، خرجه النسائي وغيره من رواية أبي الفضل بألفاظ متقاربة، في بعضها «لا تحرم المصة والمصتان» وفي بعضها «لا تحرم الإملاجة والإملاجان» وفي بعضها «المصة والمصتان والإملاجة والإملاجان». ورواه ابن وهب «تحريم المصة والمصتان» على ما وقع في المدونة، فوجب أن تسقط لهذا الاختلاف، فلذلك لم يخرج البخاري والله أعلم. وكذلك اضطرب ابن الزبير في رواية هذا الحديث، فرواه مرة عنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومرة عن أبيه عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومرة عن عائشة أم المؤمنين عنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فرد أيضا من أجل هذا الاختلاف. وكذلك حديث عائشة أم المؤمنين: «كان مما أنزل فيما أنزل الله من القرآن عشر رضعات يحرم من، ثم نسخ بخمس معلومات، فتوفي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو مما يقرأ في القرآن» لا تصح حجة به؛ لأنها أحالت على القرآن في الخمس رضعات فلم توجد فيه. ولذلك قال الإمام مالك: وليس العمل على هذا. وقال الأخذ بالخمسة رضعات: إن هذا مما نسخ خطه وبقي حكمه كأية الرجم. وهذا لا يصح؛ لأن نسخ القرآن لا يكون إلا بأمر الله تعالى، ولا يصح إلا في حياته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأما بعد موته فلا يجوز أن يذهب من صدور المسلمين حفظ شيء من القرآن؛ لأنه سبحانه قد أخبر أنه حفظ كتابه الكريم فقال: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: 9] وقد أخبرت أم المؤمنين عائشة أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- توفي والخمس رضعات تقرأ في القرآن، ولو كان ذلك لما سقط من القرآن، فعملها أرادت أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- توفي وهو مما يقرأ في القرآن المنسوخ، أي يعلم أن ذلك كان قرآنا فنسخ خطه وبقي حكمه كأية الرجم وكسائر ما نسخ خطه وحكمه وذهب من الصدر حفظه. وهذا محتمل إذ لم تقل إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- توفي وهو قرآن، وإنما قالت: إنه توفي وهو مما يقرأ في القرآن، فاحتمل أن يكون أرادت أنه كان يذكر في القرآن المنسوخ خطه". المقدمات الممهديات 375/1.

³⁷- ينظر: شجرة النور 340/1.

³⁸- ينظر: شجرة النور الزكية 213/1، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد ابن رشد، تح/ عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 2006هـ. ص 5.

ثانياً: اسمه:

قد أورد أهل التراجم اسم هذا الكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"³⁹، وقد أورد بعضهم أيضاً باسم: "نهاية المجتهد وكفاية المقتصد"⁴⁰، ولكن المعول عليه هو ما وسمه به مؤلفه: "بداية المجتهد وكفاية المقتصد"، حيث قال: "ولذلك أرينا الأسماء بهذا الكتاب أن نسميه كتاب: بداية المجتهد وكفاية المقتصد"⁴¹.

ثالثاً: نسبه:

ما يذكره أهل التراجم أن هذا الكتاب من تأليف الإمام ابن رشد الحفيد، ولم أقف على من نسب هذا الكتاب لغير ابن رشد، ليعلم أن هذا الكتب منسوب له لا لغيره.⁴²

رابعاً: سبب التأليف:

كان واضحاً سبب تأليف هذا الكتب، فقد نصّ المؤلف على الغرض من التأليف في بداية كتابة وهو مراجعته المسائل الفقهية المتفق عليها والمختلف فيها بأدلتها، حيث قال: "فإن غرضي من تأليف هذا الكتاب أن أثبت فيه لخاصتي على جهة التذكير من مسائل الأحكام الشرعية التي حصل الاتفاق عليها وكذا المختلف فيها بأدلتها"⁴³.

خامساً: مكانته العلمية:

يعتبر كتاب بداية المجتهد من الكتب التي أطرى عليها العلماء قال صاحب شجرة النور: "منها: بداية المجتهد أجاد فيه وأفاد"⁴⁴، وقال في الديباج: "وله تأليف عظيمة الفائدة منها كتابه المعروف بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه ذكر فيه أسباب الخلاف، وعلله ووجهه، فأفاد وأمتع به الطالبين، ولا يعلم في عصره أنفع منه، ولا أجمل سياقاً"⁴⁵.

سادساً: منهجه العلمي:

قد سار في كتابه على ذكر آراء المالكية أولاً ثم ذكر آراء غيرهم، ثم ذكر سبب الخلاف إن وجد، وبعد ذلك يذكر أدلة الآراء الفقهية، ويناقشها مع الترجيح، ومن أمثلة ذلك أسلوبه في مسألة الرضاع المحرم أيضاً.⁴⁶

39- الديباج في معرفة أعيان المذهب، لإبراهيم ابن فرحون، تح/ محمد أبو الأنور، دار التراث. 258/2.

40- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني، تح/ الناشر دار الكتب العلمية. 1990/2.

41- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد ابن رشد، دار الحديث القاهرة، 2004هـ، 169/4.

42- الديباج 258/2. شجرة النور 213/1.

43- بداية المجتهد 9/1.

44- شجرة النور 213/1.

45- الديباج 258/2.

46- وهذا نص المسألة الأولى: "أما مقدار الرضاع المحرم من اللبن فإن فريقاً قالوا فيه بعدم التحديد لمقدارها، وهو مذهب مالك وأصحابه. وروي عن علي، وابن عمر وابن مسعود، وابن عباس، وهؤلاء يحرم أي قدر كان عندهم، وبه قال سفيان الثوري والأوزاعي وأبو حنيفة وأصحابه. وقالت طائفة بتحديد القدر المحرم، وهؤلاء انقسموا إلى ثلاث فرق، فقالت طائفة منهم: لا تحرم المصّة ولا المصتان، وتحرم الثلاث رضعات فأكثر، وبه قال أبو ثور وأبو عبيد، وقالت طائفة أخرى: المحرم خمس رضعات، وبه قال الشافعي. وقالت طائفة ثالثة: عشر رضعات. والسبب اختلافهم في هذه المسألة معارضة عموم الكتاب للأحاديث الواردة في التحديد، ومعارضة الأحاديث في ذلك بعضها بعضاً. فأما عموم الكتاب فقوله تعالى: {وأماحكم اللاتي أرضعنكم} [النساء: 23] الآية، وهذا يقتضي ما ينطلق عليه اسم الإرضاع. والأحاديث المتعارضة في ذلك راجعة إلى حديثين في المعنى:

أحدهما: حديث عائشة وما في معناه أنه قال - عليه الصلاة والسلام - : «لا تحرم المصّة ولا المصتان، أو الرضعة والرضعتان» خرجه مسلم من طريق عائشة، ومن طريق أم الفضل، ومن طريق ثالث، وفيه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان». والحديث الثاني حديث سهل في سالم أنه «قال لها النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أرضعني خمس رضعات». وحديث عائشة في هذا المعنى أيضاً قالت: «كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات، ثم نسخن بخمس معلومات. فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهن مما يقرأ من القرآن».

فمن رجع ظاهر القرآن على هذه الأحاديث قال: «تحرم المصّة والمصتان». ومن جعل الأحاديث مفسرة للآية، وجمع بينها وبين الآية، ورجح مفهوم دليل الخطاب في قوله - عليه الصلاة والسلام - : «لا تحرم المصّة ولا المصتان» على مفهوم دليل الخطاب في حديث سالم - قال: الثالثة فما فوقها هي التي تحرم، وذلك أن دليل الخطاب في قوله: «لا تحرم المصّة ولا المصتان» - يقتضي أن ما فوقها يحرم، ودليل الخطاب في قوله: «أرضعني خمس رضعات» - يقتضي أن ما دونها لا يحرم. والنظر في ترجيح أحد دليلي الخطاب.

المسألة الثانية: واتفقوا على أن الرضاع يحرم في الحولين. واختلفوا في رضاع الكبير فقال مالك، وأبو حنيفة، والشافعي وكافة الفقهاء: لا يحرم رضاع الكبير. وذهب داود وأهل الظاهر إلى أنه يحرم، وهو مذهب أم المؤمنين عائشة.

ومذهب الجمهور هو مذهب أبي هريرة ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وسائر زوجات النبي - عليه الصلاة والسلام، وسبب اختلافهم تعارض الآثار في ذلك، وذلك أنه ورد في ذلك حديثان:

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث يمكن أن نخلص إلى مجموعة من النقاط:

- 1- انتشار المذهب المالكي في الأندلس كان كالنار في الهشيم حيث تلقوه أهلها بالقبول.
- 2- لهذه المدرسة قيمة علمية تمكنها أن تصنف مدرسة مستقلة عن المدرسة المغربية.
- 3- أن المدرسة الأندلسية ذات قيمة علمية داخل المذهب لما احتوت عليه من علماء ومؤلفات.
- 4- قد احتوت هذه المدرسة على مصنفات من أمهات المذهب الواضحة والمستخرجة.
- 5- قد اعتنت المدرسة بالاستدلال على فروع المذهب وألفت أهم المصنفات في ذلك.

المصادر والمراجع

1. اصطلاح المذهب عند المالكية، لأحمد إبراهيم، دار البحوث للدراسات الإسلامية، ط:1، 2000م.
2. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط:15، 2002م. 3:125، المدرسة المالكية الأندلسية.
3. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد ابن رشد، دار الحديث القاهرة، 2004هـ،
4. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد ابن رشد، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 2006هـ.
5. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لمحمد بن أحمد بن رشد، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط:2، 1988م.
6. تاريخ العلماء بالأندلس، لعبد الله الأزدي، تح: عزت الحسيني، مطبعة المدني، القاهرة، 1988م.
7. تاريخ قضاة الأندلس، لأبي الحسن عبد الله المالقي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ط:5.
8. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، مطبعة فضالة، المغرب، ط:1.
9. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم ابن فرحون، تح: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة.
10. دراسات في مصادر الفقه المالكي، لمایموش موراني، ترجمة سعيد بحيري وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1988م.
11. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:1، 2003.
12. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى حاجي خليفة، مكتبة المثنى، 1941هـ.
13. مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، لعمر الجيدي، ط:1، 1993.
14. المدرسة المالكية الأندلسية، إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، لمصطفى الهروس، وزارة الأوقاف المغربية، 1418هـ 1997م.
15. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى.
16. المقدمات الممهدة لبناء ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسألتها المشكلات، لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي، ضبط: محمد مفتاح، شركة القدس، ط:1، 2012هـ القاهرة.

أحدهما حديث سالم، وقد تقدم.

والثاني: حديث عائشة خرج البخاري، ومسلم، قالت: «دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندي رجل، فاشتد ذلك عليه، ورأيت الغضب في وجهه، فقلت: يا رسول الله، إنه أخي من الرضاعة، فقال - عليه الصلاة والسلام -: انظرن من إخوانكن من الرضاعة؛ فإن الرضاعة من المجاعة». فمن ذهب إلى تقوية هذا الحديث وترجيحه قال: لا يحرم اللبن الذي لا يقوم للرضع مقام الغذاء، إلا أن حديث سالم نازلة في عين، وكان سائر زوجاته - صلى الله عليه وسلم - يرون ذلك رخصة لسالم. ومن رجح حديث سالم، وعلل حديث عائشة بأنها لم تعمل به - قال: يحرم رضاع الكبير. ينظر: بداية المجتهد، دار الحديث. 60/3.